سِرّ ضُعف "حركة 20 فبراير" هو ضُعف أحزاب اليسار

(ساهم عبد الرحمان النوضة بهذا المقال الحالي، في اليوم الدراسي الذي نظمه "الحزب الاشتراكي الموحّد" حول 'حركة 20 فبراير' بالمغرب، خلال يوم الأحد 8 يونيو حزيران 2014،، تحت عنوان «حركة 20 بين متطلبات التطوّر ومعيقات الواقع»).

1. يتّضح أكثر فأكثر أن أهم أسباب المشاكل أو الصعوبات التي تُعاني منها 'حركة 20 فبراير' (ح20ف) بالمغرب، ترجع إلى **العقل أو المنطق** الذي يعمل به تفكير معظم مناضلي هذه الحركة، وكذلك مناضلي أحزاب اليسار بالمغرب. جلّ الحوارات التي تُجْرَي فيما بين مناضلي 'ح20ف'، أو مناضلي أحزاب اليسار بالمغرب، تبقى مثل حوارات صُمّ أو طُرشان. **كأن هؤلاء المناضلين لا يستمعون حقًّا لبعضهم بعضًا، ولا يفهمون بعضهم بعضا، ولا يقبلون التفاعل فيما بينهم.** بينما هدف الحوار هو بالضبط التّفاعل، والتأثّر، والتّأثير، والاستفادة المتبادلة. وكل شخص لا يتحلّى بالتواضع، ولا يمارس الاحترام المُتبادل، لا يقدر على الاستماع لمن يختلف عنه في الرأي. من الموضوعي أن نختلف جميعا في آرائنا، لكن سيكون من قبيل التخلّف أن لا نعرف كيف نعمل وكيف نناضل بشكل مشترك. وكل شخص لا يُدخل المُرونة أو النّسبية على فكره، لا يستطيع خوض أعمال أو نضالات مشتركة مع غيره. خاصة وأن الآراء أو المواقف السياسية التي يحملها كل مناضل (أو حزب) لا تنبني على يقينيات علمية أو مُطلقة، وإنما تنبني في آخر المطاف على معتقدات إيديولوجية، أو على تقييمات ذاتية، أو على افتراضات مُحتملة، أو على اختيارات مُتعمّدة، أو على تفضيلات ثقافية، أو على ظنون، أو تخمينات، أو إحساسات، أو ما شابه ذلك. فإذا لم يُصحّح مجمل مناضلي 'ح20ف'، وكذلك مناضلي أحزاب اليسار، منهجهم في الحوار، وإذا لم يصلحوا العقل الذي يفكّرون به، فقد يبقون عاجزين على التّفاهم، أو التفاعل، أو التلاقح، أو التكامل فيما بينهم. وفي هذه الحالة السيّئة قد يكون مصيرهم المشترك هو التشرذم، أو الفشل، أو التخلّف.
2. هل **النقاش** الحالي حول "حركة 20 فبراير" (ح20ف) سيأتي **بمنفعة** معيّنة، أم هل أن هذا النقاش سيذهب سُدًى، مثل الكثير من الحوارات الماضية حول هذا الموضوع ؟ هل يقبل مناضلو ح20ف بأن يتفاعلوا جدّيا فيما بينهم، أم أنهم سيبقون رافضين للتّفاعل والتّعاون والتكامل فيما بينهم ؟

3. هل يقبل المناضلون المشاركون في ح20ف **النقد** السياسي ؟ معظم الأفراد والجماعات المشاركة داخل ح20ف لا يقبلون النقد، ولا يستمعون إليه، ولا يهتمّون به، ولا يستفيدون منه. بل يتجاهلون، أو يُخاصمون، أو يُقاطعون، أو يُعادون، كل من سبق أن نقدهم كتابيا أو شفويا.
4. كيف يمكن **تطوير ح20ف** ؟ ما هو السبيل لِرَفْع مستوى فعالية حركة جماهيرية مثل ح20ف ؟ هل مدح أو تعظيم ح20ف يكفي وحده لتحسين فعاليتها النضالية ؟ هل يمكن أن نُساهم في **تقدّم** ح20ف إذا نحن تلافينا **نقد** الأفراد والجماعات والأحزاب المشاركة في ح20ف ؟ ألا يشكل النقد والإبداع، في كل الميادين، السبيل الضروري لتقوية ح20ف ؟ ألا تحتاج مجمل روافد ح20ف، بما فيها التصوّرات النظرية، والأشكال التنظيمية، والأساليب النضالية، إلى **مراجعة نقدية**، وإلى **إبداع** كُفء وجِرّيء ؟ ألا يُعبّر رفض النقد عن غياب **ثقافة النقد والنقد الذاتي** ؟ ألا يبقى التقدم متعذرًا أو مستحيلا في حالة غياب ثقافة النقد ؟
5. سبق أن كتبتُ ونشرتُ عدّة دراسات مُتقدّمة ومُبكرة، حول ح20ف. أبرزها : أ) مقال بعنوان **"لماذا لا تقدر حركة 20 فبراير على إسقاط الاستبداد ؟"**، (في 35 صفحة)، ونشرتُه على الورق، وعلى الأنترنيت (http://LivresChauds.Wordpress.Com)، **بتاريخ 23 شتنبر 2011**، ب) كما نشرتُ كتاب **"كيف نسقط الاستبداد"**، وعنوانه الفرعي هو : "حركة 20 فبراير تحت المجهر". ونشرتُه على الأنترنيت (http://LivresChauds.Wordpress.Com)، في **أبريل 2013**، في 200 صفحة من الحجم الكبير. ويمكن تنزيله بالمجّان. ويحتوي هذا الكتاب على تحاليل واقتراحات مُفصّلة ودقيقة. لكن الملاحظة المؤسفة هي أن معظم مناضلي ح20ف **لا يقرؤون**، ولا يهتمّون، ولا يستفيدون، من هذه المساهمات المكتوبة. بل بعضهم يحتقرها، أو يستهزئ بها، دون أن ينتقدها، أو أن يقدّم بديلا عنها. وهل يمكن أن تتقدّم ح20ف إذا لم يوجد داخلها نقاش سياسي ونظري، ومبني على أساس أرضيات رزينة، وأطروحات معمّقة، ودراسات دقيقة ؟
6. سبق لي أن طرحتُ أنه لا توجد في المغرب ح20ف واحدة، وإنما **توجد حركتان**. الأولى واقعية وقائمة في الشارع، تُعاني من عدّة أصناف من الضّعف، ولا ترقى إلى المستوى المطلوب، ويحتقرها معظم مناضلي وأحزاب اليسار، أو ينفرون منها، ولا يهتمّون بها، ولا يساهمون فيها. بل ينبذها كثيرون، أو يكرهونها. والحركة الثانية هي حركة مُتَخَيَّلة، أو وهمية، أو أسطورية، يتحدّث الكلّ عنها بحماس، ويُساندها، ويمدحها، ويمجّدها، ويعظّمها، ويفترض فيها قُدرات سياسية خارقة. والكلام الموضوعي عن الحركة الأولى هو المطلوب، أما الكلام عن الحركة الثانية فلا يفيد.
7. ما هي باختصار **نقط قوة، ونقط ضعف ح20ف** ؟

نقط قوة ح20ف معروفة، وهي :

أ) كونها حركة جماهيرية، سلمية، مفتوحة، ديمقراطية، ووحدوية، وتستعمل أسلوب التظاهر الدوري الأسبوعي، والإحتجاج الجماهيري. وتفصل بين الدّين والسياسة.

ب) شعارها أو هدفها واضح نسبيا، وهو «إسقاط الفساد والاستبداد».

ث) تجاوب ح20ف مع المشاعر السياسية القائمة لدى جماهير عريضة من الشعب.

و**نقط ضعف ح20ف** هي كثيرة وخطيرة، وأبرزها ما يلي :

أ) ضعف النّضج السياسي لدى غالبية مناضلي ح20ف. وهُزال المعرفة الثورية لديهم. ويغلب لدى بعض المناضلين الشباب في ح20ف الحماس السطحي الذي يتحوّل أحيانا إلى تهوّر طوباوي.

ب) اختراق ح20ف من طرف عناصر سِرّية، بوليسية، ومخبرة، وبلطجية. وتعمل هذه العناصر المُسخّرة من طرف البوليس السياسي بهدف تخريب ح20ف من الدّاخل.

ت) نفور غالبية مناضلي ح20ف من أي شكل من أشكال التنظيم، أو الإلتزام، أو الانضباط.

ث) طغيان الميول نحو ديمقراطية مائعة تتحوّل إلى إباحية، أو إلى فوضوية طُوبَاوية وغير مسئولة.

ج) ميول المناضلين المتحزّبين إلى العمل داخل ح20ف كجماعات حزبية مُتماسكة، وليس كمناضلين أفراد متحرّرين من أية "عصبيّة سياسية".

ح) التركيز على الحركية الاستعراضية المثيرة (أطروحة : «المُهِمْ هو أن تُحَفّي السَبَّاطْ»!)، ورفض الخوض في أي نقاش سياسي أو نظري.

خ) رفض تكوين أية قيادة ثورية لِ ح20ف، لا محلّيا، ولا وطنيا.

د) نفور أحزاب اليسار من أي شكل من أشكال التشاور، أو التنسيق، أو التعاون، أو التكامل فيما بينهم حول قضايا ح20ف.

ذ) طغيان التنافس، والتنافر، والشك، لدى مجمل الفاعلين داخل ح20ف، بدل تعاونهم، وتكاملهم، وتضامنهم.

ر) بعض الأفراد والجماعات يتمادون في إفشال أي اقتراح، ويُحاربون أية مبادرة، ويُروّجون الحقد والعداوة تجاه أحزاب اليسار بالمغرب.

ز) تهرّب ح20ف من مهمة إنشاء لجان تنظيمية (مثل لجان الدفاع الذاتي) تمكّنها من طرد كلّ بوليسي متسرّب داخلها، أو من ردع كلّ عنصر يعتدي عليها، أو ينسف جهودها، أو يخرّب أنشطتها. وهذا الغياب لِ "لجان الدّفاع الذاتي" يُسهّل على كل عنصر بوليسي أو بلطجي أن ينسف بسهولة أنشطة ح20ف.

8. تقتضي الصّراحة أن نقول وأن نكرّر أن **السّر في ضعف أو فشل ح20ف يَكْمُن في ضعف أحزاب اليسار** بالمغرب. ولا يمكن أن تأتي قوّة ح20ف إلاّ من قوّة أحزاب اليسار. فمجمل أحزاب اليسار بالمغرب **تحتاج باستعجال إلى خوض ثورة ثقافية متواصلة** لإعلاء مستوى تكوين مناضليها. وإذا لم يكن مناضلو أحزاب اليسار في المستوى المطلوب، فلا أحد غيرهم داخل

المجتمع يستطيع أن يَنوب عنهم لكي يرفع مستوى فعالية ح20ف. وكل غموض، أو قصور، أو تراخ، أو انحراف، يُوجد داخل أحزاب اليسار، سينعكس بالضرورة بشكل سلبي على ح20ف. يمكن للمناضلين غير المتحزّبين أن يساهموا في تنشيط ح20ف، لكنهم لا يستطيعون أن يعوّضوا مساهمات المناضلين المتحزّبين. والحل المُبتغى هو أن يتعاون وأن يتكامل المناضلون المتحزّبون والمناضلون غير المتحزّبين.

9. من الأكيد أن ح20ف تحتاج إلى **تنسيق** على الصعيد الإقليمي والوطني، بل تحتاج حتى إلى **قيادات منتخبة ودورية**، على الأصعدة المحلية، والإقليمية، والوطنية. ومن الأكيد أيضا أن تحوّل ممثّلي أو قادة ح20ف إلى "مسئولين على مدى الحياة" سيكون مضرّا بـِ ح20ف. لكن المنهج الذي بُني به ما يسمّى ب **«المجلس الوطني لدعم ح20ف»** كان غير سليم. لأن هدف هذا المجلس غير المعلن، أو نوعية بياناته وتحرّكاته، كانت ترمي إلى السّيطرة على ح20ف من الفوق، أو تملّكها من طرف تيّار، أو من طرف بضعة تيّارات محدّدة.
10. لا تتوفّر أحزاب اليسار بالمغرب، ولا "الأحزاب الإسلامية"، على وضوح سياسي كاف حول **كيفية التعامل فيما بينهما**. وإذا كانت "الأحزاب الإسلامية" تحمل بعض السلبيات، فإنها تحمل في نفس الوقت بعض الإيجابيات. ومن غير العقلاني أن يستمر فيما بين هذين الطرفين التّجاهل المتبادل، أو العداء المتبادل. وتقتضي مصلحة النضال الجماهيري المُشترك أن يوجد حدّ أدنى من الحوار، أو التشاور، أو حتى التنسيق، فيما بين اليسار و"الأحزاب الإسلامية" التقدمية (مثل "جماعة العدل والإحسان"). والدّور الإيجابي الذي قامت به "جماعة العدل والإحسان" داخل ح20ف خلال سنتها الأولى (في 2011)، يُبرّر لجوء اليسار إلى هذا الحوار. وهذا الحوار لا يعني، ولا يبرّر المُجاملة، أو الخضوع، أو الإستسلام للطرف الآخر.
11. يلزم جميع مكوّنات ح20ف أن تُدرك أهمية مشاركة مواطنين من **الطبقات الوسطى** داخل ح20ف. لأن نجاح ح20ف مشروط بمشاركة الطبقات الوسطى فيها. وعليه، يجب على شباب ومناضلي ح20ف أن يقلعوا عن بعض الأساليب المزعجة أو المقلقة التي تتسبّب في ابتعاد المواطنين من الطبقات المتوسطة.
12. بعد مرور قرابة ثلاثة سنوات على انطلاق ح20ف، يُرجى من كل شخص أو مناضل أو تيار أو حزب شارك في ح20ف، أن يُراجع تجاربه بشكل نقدي وصريح، وأن يعترف بكل الأخطاء التي سبق له أن ارتكبها، أو رآها لدى غيره. لأن **تقدّم ح20ف مشروط بقيامنا جميعًا بالتّقييم، والنقد، والتقويم، والتطوير، فرديا وجماعيا.**
13. **خاتمة** : لا يعني نقد أحزاب اليسار، ولا تعداد نقائص ح20ف، أننا ندعو إلى التراجع، أو إلى إيقاف ح20ف، ولا يعني التّخلّي عن النضال، ولا يعني أننا نقبل بالهزيمة السياسية، وإنما يعني فقط أننا نريد أن نناضل **بعقلانية أحسن، وبفعالية أكبر**، لأننا صمّمنا العزم، ومنذ زمان، على أن نظلّ في

نفس الوقت عنيدين ومرنين، صامدين وحذرين، متعنّتين ومتسامحين في نضالنا، لأن الاحتمال الأكبر هو أن التاريخ سيتطوّر بالضرورة (على المدى البعيد) لصالح الحق، والعدل، والشعب، والانعتاق، والتحرّر.

عبد الرحمان النوضة (حُرّر في يوم السبت 7 يونيو حزيران 2014).